

تطور العلاقات بين الفرس والعرب في ضوء حركة الترجمة وتعامل الحكام العباسيين التعسفي تجاه الأدباء والعلماء

محمد علي سلمانى (الكاتب المسؤول)

الأستاذ المشرف - أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب -

جامعة يزد - إيران

salmani_m@yazd.ac.ir

طالب الدكتوراه على محمدى

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة يزد - إيران

a.a.Mohammady43@Gmail.com

**The development of relations between Arabs and Persians
by the light of the translation movement and tyrannical
behavior of the Abbasid rulers against the scientists**

Mohammad Ali Salmani

**Assistant professor of Arabic language and literature at Yazd University and
responsible author**

Ali Ali Mohammadi

Ph.D. student at Yazd University

Abstract:

The cultural ties between the Arabs and the Persians has expanded to new horizons in the time of Cyrus. In 240AD, the Persians established the Emirate of Al-Hira on the Euphrates River. Many Arab cultural delegations came to the court of the Hira princes and learned about the Persian culture and took it to their country. There were also close links between the Persians and the Arabs in Bahrain, Oman and Yemen, and the Persians' ancestors were meaning to the Holy House and circling it. When Islam appeared and the Persians embraced the new religion, And The situation became critical after the autocrat of Umayyad rule and their inhuman treatment towards Muslims, the Persians reunited to opponents Umayyad rulers for grab avenged imam Huseyn And the rest killed dachas. These circumstances led to a great revolt against the Umayyad rule and overthrow it, And paved the way for a great scientific renaissance, The translation movement which was the resultant birthplace of the scientific movement of Sasanians became active, and the Persian culture and literature spread. The relations between the Persians and the Arabs reached their climax, and the Arab society benefited from the products of the Persians and their scientific and literary achievements. but Abbasids which ahead of revolution choose "Mohamad ben Abdulah" so of this which vary path revolution, Since they reach to the rule they choose a policy of bloody repression towards their opponents from the pioneers of science and literature, And blacked the face of history with their crimes and their immorality, Where they have become in every dimension of which allege they were exhorters of knowledge And politeness for clothe their terrible crimes. ,we will arrive at This article what shows us the lack of credibility of these perpetrators as supporters of the scientific renaissance and this according a methods of descriptive – analytical.

Key Words : Cultural Relations ; Sassanid era ; Abbasid era ; Islamic civilization

المُلخَص :

إن الصلات الثقافية المتوغلّة في القدم بين العرب والفرس، اتسعت إلى آفاق جديدة زمن كورش. وسنة ٢٤٠م أسس الفرس إمارة الحيرة علي نهر الفرات، فجاء كثير من وفود العرب الثقافية إلى بلاط أمراء الحيرة واطلعوا علي الثقافة الفارسية ونقلوها إلى بلادهم. كما كانت هناك صلات وثيقة بين الفرس والعرب في البحرين وعمان واليمن، وكانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام وتطوف به. وعندما ظهر الإسلام واعتنق الفرس الدين الجديد، وتفاقم الأمر إثر استبداد بني أمية بالحكم وتعاملهم اللإنساني تجاه المسلمين، أخذ الفرس يضمون جهودهم إلى جهود الناقمين علي الحكم الأموي للأخذ بشأر الحسين والمظلومين من أهل البيت (عليه السلام). فأدت هذه الظروف إلى ثورة عارمة ضد الحكم الأموي وبالتالي أطاحت به، ومهدت الأرضية لنهضة علمية عظيمة، فشطت حركة الترجمة التي كانت وليدة حركة الساسانيين العلمية وانتشرت ثقافة الفرس وآدابهم وبلغت علاقات الفرس والعرب ذروتها، فأفادت العربية أيما إفادة من منتجات الفرس ومآثرهم العلمية والأدبية. أما بنو العباس الذين كانوا قد بايعوا "النفس الزكية" بضع مرات قبل الثورة، فبعدما حرقوا الثورة عن مسارها المخطط، فما أن استقر بهم الأمر حتى اختاروا سياسة قمعية دموية تجاه معارضتهم من رواد العلم والأدب، وسودوا وجه التاريخ بجرائمهم ومنكراتهم اللاأخلاقية، حيث أصبحوا بعيدين كل البعد عما يشير البعض حولهم من أدوارهم الهامة والبنائة في تشجيع العلوم والآداب وما إلى ذلك من الأساطير المفتعلة لتغطية جرائمهم. فستوصل في هذا المقال إلي ما يبين لنا عدم مصداقية هؤلاء عن كونهم مشجعي النهضة العلمية وذلك وفق منهج وصفي - تحليلي.

الكلمات الرئيسية : العلاقات الثقافية - العصر

الساساني - العصر العباسي - الحضارة الإسلامية

المقدمة

إن الأمة كانت سائدة في العرب قبل ظهور الإسلام، فلما جاء الإسلام وحض علي العلم، أقبل المسلمون علي الدرس والبحث وتحصيل العلم. أما باستشهاد الإمام علي (عليه السلام)، فتهيأت الظروف للحزب الأموي ليسيطوا سلطانهم على الخلافة الإسلامية، ولما أفضت الخلافة إليهم واستبدوا بها، تجاوزوا الحد في معاملتهم المزرية للمسلمين، و«وقف كثير من خلفاء بني أمية وولاتهم من الموالي الفرس مواقف لا تنم علي نظرات متعالية، لا تقيم وزناً لإنسانية أو دين ... وقد نجم عن هذه المواقف المزرية آثار خطيرة، أبرزها أن الفرس كانوا وقوداً للثورة التي أطاحت بدولة بني أمية وقوضت أركانها» (العاكوب، ١٩٨٩م، ص ٢٠-١٩). فكانت معاملتهم الإنسانية ضربة قاصمة لهم حيث جندت الشعوب المضطهدة تحت لواء العباسيين -الذين تسربلوا بشعار مظلومية أهل البيت، موهمين الناس أنهم يريدون البيعة لواحد من العلويين، وبذلك استمالوا قلوب الفرس والموالي المسلمين- فقامت الثورة علي الحكم الأموي في بلاد الفرس وأطاحت بحكمهم الجائر، وارتفع شأن بني العباس علي حساب العلويين ومحببيهم الثوار. فكان للفرس «الفضل الأكبر واليد الطولي في قيام ملك بني العباس، فالثورة علي الأمويين قامت في بلادهم، ... وكان منهم القواد الكبار الذين حطموا عرش بني أمية كأبي مسلم الخراساني وأبي سلمة الخلال» (غفراني الخراساني، ١٣٨٣ق، ص ١٩).

ثم إن ثورة المضطهدين التي أسقطت الحكم الأموي، أنشأت العصر العباسي وفتحت أجواء الحياة العقلية والعلمية والأدبية -الحياة العقلية والعلمية التي نشأت إثر تأسيس الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) مدرسته الكبرى، التي خرجت الآلاف من الطلاب والعلماء، والتي تعتبر العمود الفقري للحضارة الإسلامية التي اشتركت في رفع بنائها شعوب متعددة- فنشطت حركة الترجمة التي كانت وليدة الحركة العلمية في العصر الساساني. وأحدث ابن المقفع بأثاره الكثيرة في عمره القصير ثورة في العالم العربي، قبل أن يقطع لحمه ويشوي في النار بإيعاز من المنصور لمعارضته ورفضه فساد هذا الحاكم الجائر.

وستتطرق إلي تطور علاقات الفرس والعرب، ثم إلي تبين العوامل المناسبة لنشأة النهضة العلمية وازدهارها في العصر العباسي، وبالتالي الكشف عن حقيقة نهج الدولة

العباسية المروع مع الأدباء والعلماء، حيث يبين لنا عدم مصداقية الخلفاء العباسيين عن كونهم مشجعي النهضة العلمية وما يثار حولهم في هذا المجال من الأباطيل، وذلك من خلال منهج وصفي - تاريخي مستفيدة مما جاء في طيات كتب في هذا الأطار.

سابقة البحث

هناك دراسات عديدة تطرق فيها الباحثون إلي موضوع الفرس والعرب منها: كتاب "أمراء البيان" لمحمد كردعلي (١٩٣٧م) أشار فيه إلي أن العرب أعجبتهم ثقافة الفرس وحضارتهم العريقة، فأقدموا علي نقل تراثهم إلي اللغة العربية. وكتاب "تاريخ وفرهنگ ایران" لمحمد محمدي (١٣٨٠ق) تطرق فيه إلي أثرالثقافة الفارسية ولغتها علي اللغة العربية وثقافتها ودور الفرس في خلق الحضارة الإسلامية وازدهارها. و"العصر العباسي الأول" لشوقي ضيف (1966م) حيث تحدث عن دور البرامكة العظيم واهتمامهم لنقل تراث الفرس والهند واليونان العلمية إلي اللغة العربية. وكتاب "معالم الحضارة الإسلامية" لمصطفى الشعة (1973م) أقدم فيه علي دراسة الكتب الفارسية المترجمة إلي العربية، كما تحدث عن دور الفرس في اختيار بغداد عاصمة للحكم العباسي. أما هذه الدراسة فتسعي تسليط الضوء علي تطور العلاقات العربية الفارسية وتأثيرها في ازدهار حركة الترجمة، معتمدا في دراستها علي المنهج الوصفي التقريري.

أسئلة البحث

أما أسئلة البحث التي نحن بصدد الإجابة عنها في هذا المقال، فهي:

١- ما هو أثر حركة الترجمة علي توسيع العلاقات الإيرانية العربية؟

٢- ما هو تأثير حركة الترجمة من العلاقات بين الفرس والعرب؟

٣- ما هي علاقة حركة الترجمة في العصر العباسي بنهضة الساسانيين العلمية؟

٤- الخلفاء العباسيون مشجعوا الحركة العلمية! ما هو مدي مصداقية هذا الادعاء؟

بما أن هذه الدراسة تهدف إلي معالجة عوامل توسيع علاقات الفرس والعرب، وازدهار حركة الترجمة ونتائجها في العصر العباسي وبيان تأثير وتأثرها من العلاقات العربية الإيرانية، فإن نتائجها يمكن استخدامها من قبل هواة يبحثون عن سبل استئناف نهضة علمية واستعادة مجد المسلمين المسلوب من جديد.

لمحة عابرة إلى العلاقات الإيرانية العربية قبل الإسلام

إن التواصل الذي يعود إلى زمن موغل في القدم بين الفرس والعرب لم ينقطع أبداً، وإن الصلات الثقافية التي كانت دائرة بين الشعبين العربي والفارسي، ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد وإلى عهد الهخامنشيين (محمدي، 1380ش، ج٤، ص١٠)، فهذه العلاقات التي كانت بينهم منذ استقرار الفرس في فلاة إيران، اتسعت إلى آفاق جديدة عندما استولي كورش سنة 539ق.م علي ممالك الشرق الأوسط، حيث يقال إن العرب كانوا في جملة أتباع الملك الكبير كورش الثاني (557-529ق.م)، «وقد ورد في أخبار حملة كورش علي بابل أن جماعة من العرب كانت تحارب معه. وكانت تلك الجماعة من الأعراب الراكبين للجمال. وذلك في سنة (539) قبل الميلاد» (جواد علي، 1968م، ج١، ص٦٢١).

وفي العصر الساساني زمن سابور الأول (حول سنة 240م) الذي اهتم اهتماماً كبيراً بالعلوم، قام الفرس بتأسيس إمارة الحيرة العربية علي الحدود العربية الفارسية وأمرؤا عليها عمر بن عدي (أمين، 1975م، ص16). وبعد ما قامت إمارة الحيرة، جاء كثير من وفود العرب الثقافية إلى بلاط أمراء الحيرة واطلعوا علي الثقافة الفارسية ونقلوها إلى بلادهم (إمام شوشتری، 1347ش، ص8). وكانت في الحيرة عدة قصور وأبنية، لم يبق أي أثر منها في عصرنا الحاضر. وكانت لهذه القصور صلات مباشرة مع الفرس والملوك الساسانية، منها: "قصر أبيض" الذي بناه ملوك الفرس، و"قصر ابن بُقيلة"، و"قصر الفرس"، و"قصر زوراء" الذي بناه النعمان، و"قصر عُدسيها"، والأهم منها "قصر خورنق" (آذرنوش، 1354ش، ص162). وكان ملوك الحيرة يقلدون آداب وأعمال ملوك الفرس، فكانوا يتعلمون الرماية والفروسية ويضعون التاج علي رؤوسهم، وكان ملوك الفرس يعطيهم هذه التيجان. وكانت الكتابة العربية تستعمل في ديوان الساسانيين، وأول من كتب بالعربية في ديوان كسري هو عدي بن زيد (الأصفهاني، 1986م، ج٢، ص٩٤).

كما كانت هناك صلات وثيقة بين الفرس والعرب في البحرين بالخليج الفارسي، وعاش العديد من الفرس في هذه المنطقة كما كانت الاسماء الفارسية منتشرة هناك، وأيضاً في عمان واليمن فمن ذلك علي سبيل المثال، أرسل الكسري أنوشروان سنة

570م -حينما هاجم الأحباش جنوب الجزيرة العربية عن طريق البحر الأحمر فاستمدّه الحميريون للتخلص من الحبشيين- فأرسل جيشاً تحت قيادة أحد مرابزته يسمى "وهرز" لمساعدتهم، فدافع جيش الفرس عن العرب هناك وبعدما هزموا الحبشيين واحتلوا صنعاء، جعلوا سيف بن ذي يزن حاكماً لها. ثم عاد ذلك المرزبان إلي بلاده. إلا أن الأحباش ما لبثوا أن ثاروا ثانية وقتلوا سيفاً وحكموا اليمن مرة أخرى، فبعث أنوشروان بوهرز ثانية مع أربعة آلاف جندي إلي بلاد اليمن، فهزم الأحباش وبعث فلولهم وأنقذ أبناء حمير مما لحقهم من ظلم علي أيدي الأحباش. وقد أقام الفرس ببلاد اليمن زمناً طويلاً، وتزاوجوا وعُرفت سلالتهم في بلاد اليمن بأبناء الأحرار. وحكم وهرزاً للبلاد باسم أنوشروان، وكذلك ظل خلفاؤه يحكمونها بعده باسم ملك الفرس حتي ظهر الإسلام وأسلم فرس اليمن وضموها إلي الخلافة الإسلامية (محمدي، 1374ش، ج1، ص37). وفي هذا المجال يتحدث الدكتور جواد علي عن مساعدة جيش الفرس للعرب في اليمن، وما نتج عن هذا التواجد العسكري الإيراني هناك والضغط علي معسكر الروم قائلاً: «في أيام كسري أنوشروان طرد الأحباش من اليمن، إذ أرسل إليها نجدة بقيادة "وهرز"، وبذلك دخل الفرس اليمن، وصاروا علي مقربة من الحبش حلفاء الروم. وقد لاقت السياسة البيزنطية بذلك ضربة شديدة عنيفة، لأن الفرس بدخولهم اليمن صار في إمكانهم الضغط علي التجارة البحرية للروم، وصار في إمكانهم الهيمنة علي منفذ البحر الأحمر، البحر الذي تلج منه سفن الروم إلي المحيط الهندي وبالعكس» (جواد علي، 1969م، ج2، ص647).

وكان الفرس يحترمون الكعبة زاعمين أن روح جدّهم الأكبر "هرمز" حلت فيها، ويعدون أنفسهم من أبناء إبراهيم (عليه السلام) ويطوفون حول البيت الحرام وقيل سبب تسمية بئر زمزم بهذا الاسم زمزمة الإيرانيين عليها، وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك وهو جد أردشير بن بابك وهو أول ملوك ساسان، فكان ساسان إذا أتى البيت طاف به وزمزم علي بئر إسماعيل. وكان الفرس تهدي إلي الكعبة أموالاً في صدر الزمان، وجواهر، وقد كان ساسان بن بابك هذا، أهدي غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهباً كثيراً (الطباطبائي، 1394ق، ج3، ص398؛ المسعودي، 1363ش، ج1، ص265).

فترسبت قبل الإسلام شيئاً غير قليل من المعاني الفارسية وألفاظها في اللغة العربية، فمن ذلك على سبيل المثال ما ورد في أشعار شعراء الجاهلية مثل: گلستان وبنفشه وسوسن وشاه إسبرم وياسمين ونرگس وإبريق وشهنشاه وشاجرد، كقول الأعشى: وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه له ما اشتهى راح عتيق وزنبق وما كنت شاجردا ولكن حسبتني إذا مسحل سدى لي القول أنطق فشهنشاه في البيت الأول فارسية الأصل وتعني ملك الملوك وشاجرد في البيت الثاني تعني التلميذ. (شيخو، د.ت، ج ١، ص ٢٢٧ وما بعدها).

علاقات الفرس والعرب في صدر الإسلام والدولة الأموية

إن النبي (ﷺ) هو المؤسس الرئيس للحضارة الإسلامية وقد جاء بسنن وقوانين دفعت البشرية إلى مكارم الأخلاق ومتابعة العلوم والفنون، فبما كان للعلم أهمية بالغة في الإسلام، ولما جاء هذا الدين السماوي ولم يكن عدد العرب القادرين علي الكتابة والقراءة إلا بضعة أشخاص، فحث الدين الجديد معتقيه علي طلب العلم والمعرفة، وكما يقال جعل النبي (ﷺ) شرط إطلاق سراح الأسير أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة. وأن النصوص المقدسة في بعض الآيات القرآنية والروايات الواردة في كتب حديث الفريقين في فضل العلم والعلماء تجعل المؤمن متعطشا للعلم، منها:

- في فضيلة العلم والحض علي طلبه: (... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) (المجادلة: ١١).

وقال النبي (ﷺ): «طلب العلم فريضة علي كل مسلم، ألا إن الله يحب بغاة العلم» (الكليني، 1388ق، ج ١، ص ٣٠).

وقال النبي (ﷺ) أيضا: «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم» (شريف القرشي، ١٣٩٩ق، ص ١٨٨).

كما يقول علي بن أبي طالب (عليه السلام): «الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم علي سبيل نجاة، وهمج رعا، أتباع كل ناعق، مع كل ريح يميلون، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلي ركن وثيق ... يا كميل، مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي

تطور العلاقات بين الفرس والعرب في ضوء حركة الترجمة..... (370)

الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة... □ (ابن عبد ربه، ١٩٨٧م، ج٢، ص 81).

وقال (عليه السلام) أيضاً: «اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة» □ (العماري التميمي، ١٤١٠ق، ص ١٥٠).

-ومنها في فضلية التعلم والتعليم: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) (التوبة: ١٢٢).

وقال النبي (ﷺ): «العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل والعالم والمستمع والمحِب لهم» (الغزالي، 1302ق، ص 6).

فبظهور الإسلام أقبل المسلمون عليّ الدرس والبحث وتحصيل التعاليم الدينية وجمع العلوم البشرية والدنيوية وفتحهم بلاد فارس والعراق، التقى المسلمون في البلاد المفتوحة بثقافات عريقة. واعتنق الفرس الدين الجديد الذي وجدوا فيه المساواة التي كانوا ينشدونها، واستعان العرب منهم منذ الفتوح في العراق والخراسان في إدارة شؤون الخراج.

فبما أن الإيرانيين كانوا ذوي تاريخ عريق وحضارة قديمة ونظراً لانفتاحهم عليّ الإسلام الأصيل المحمدي وتفاعلهم مع السنة الشريفة للرسول الأعظم (ﷺ) ومدرسة الأئمة الكرام (عليهم السلام) من آل بيته، فقد امتزج البعد الإيماني بأدابهم وحضارتهم العريقة، وهذا هو الذي شجّعهم عليّ أن يروا أن قبولهم للإسلام لا يعني أبداً سيادة الجنس العربي على غيره، وقد ساوى دين الإسلام بين أتباعه من العرب والعجم بغض النظر عن أعراقهم وألوانهم ومعتقداتهم السابقة، فلا فضل لبعضهم عليّ بعض إلا بالتقوى.

أما الحزب الأموي الذي كاد للإسلام قبل دخوله إلى الإسلام وبعد دخوله إليه، فبعد استشهاد الإمام عليّ (عليه السلام) تهيأت الظروف لهم ليسيطوا سلطانهم على الخلافة الإسلامية، ويعملوا عليّ مبدأ نظام الوراثة في الحكم، فلما أفضت الخلافة إليهم واستبدوا به وكان عدد الموالى آخذاً في الازدياد، عليّ أنه مع ما كان لكثير منهم من قدم راسخ في العلم والأدب والفنون، كان الأمويون ينظرون إليهم دائماً نظرة احتقار وازدراء وإن «المعاملة التي لقيها الفرس المسلمون من قبل بعض ساسة الدولة الأموية وكثير من رعيّتها، لا يمكن أن توصف بحال من الأحوال، بأنها قائمة عليّ أساس تعاليم

الدين الحنيف، الذي لايري لأحد من البشر فضلا عن الآخر إلا بالتقوي وصالح الأعمال. فقد وقف كثير من خلفاء بني أمية وولاتهم من الموالي الفرس مواقف لاتتم علي نظرات متعالية، لاتقيم وزنا لإنسانية أو دين ... وقد نجم عن هذه المواقف المزرية آثار خطيرة، أبرزها أن الفرس كانوا وقودا للثورة التي أطاحت بدولة بني أمية وقوضت أركانها»(العاكوب، 1989م، ص ٢٠-١٩).

ويقول صاحب العقد الفريد: وكانوا يقولون لايقطع الصلاة إلا ثلاثة، حمار أو كلب أو مولى. (ابن عبد ربه، ١٩٣٥م، ج ٢، ص ٢٧٠).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد وصل أمر التمييز إلي منع زواج الموالي من الأعرايات، بل وصل إلي حد تطليقهن من أزواجهن. فقد روي أن أحد الأعاجم تزوج أعرابية من بني سليم، فركب الشاعر محمد بن بشير الخارجي^١ إلي المدينة، وواليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن اسماعيل بن هشام بن المغيرة، فاستعداه علي المولي، فأرسل الوالي إلي المولي وفرق بين المولي وزوجته وضربه مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه ... (أمين، 1956م، ج ١، ص ٢٥).

فبما كان في الخلفاء الأمويين نعة عربية قوية عصبية ضد غير العرب، تجاوزوا بها حد العقل وزاغوا بها عن سبيل القصد في معاملتهم المزرية للموالي والفرس المسلمين، وكانت النتيجة الطبيعة لهذه المعاملة الشاذة أن امتلأت نفوس هؤلاء القوم المضطهدين سخطا وحقدا علي العرب الجاهليين، فشق عليهم الأمر فقامت الثورة علي الأمويين في بلاد الفرس، واندفعت الشعوب الإسلامية بحماس بالغ تحت شعار "الرضا من آل محمد"^٢، إلي الثورة العارم ضد طغاة بني أمية، الذين جهدوا علي إذلال الأمة الإسلامية وحرمانها من أبسط حقوقها الشرعية، وقد حمل لواء الدعوة للعباسيين أبو مسلم الخراساني، الذي كان من أبطال الحرب والسياسة، فسرعان ما حطمت الثورة عرش هؤلاء الطغاة وقامت الدولة العباسية علي أكتاف الفرس الذين كانوا أصحاب الثقافة والحضارة.

أما حول تأثير الفرس في العهد الأموي -علي الرغم من سياسة التمييز العرقي التي اعتمدها الساسة الأمويون في معاملة المسلمين من غير العرب- فقد كان تأثيرهم إبان الخلافة الأموية كبيرا؛ فمن ذلك علي سبيل المثال لالحصر، ظهور بعض الشعراء الفرس

مثل إسماعيل بن يسار، كما نرى ظهور شعراء العرب ينظمون الشعر باللغة الفارسية. وفي أواخر عهد الأمويين، كتب عبد الحميد الكاتب إلى الخليفة مروان آخر خلفاء الأمويين رسالة حول نظام الحكم والسلطة، وهو كتبها بلغة عربية سلسة أشبه بالشعر المسجع والمقفى، نقلاً عن مخطوطات فارسية.

علاقات الفرس والعرب في العصر العباسي

بعد ما تفاقم الأمر إثر استبداد بني أمية بالحكم وتعاملهم اللإنسانية تجاه المسلمين سيما الفرس والموالي، وكانت أغلبية المسلمين تشكو ظلمهم وتتطلع إلى العدالة، وبما أن العباسيين ادعوا بأنهم يريدون إعادة حكم العدل وإرجاع الخلافة الحقة بدل الخلافة الموروثة التي أقامها الأمويون، فأخذ الفرس يضمون جهودهم إلي جهود الناقمين علي الحكم الأموي، و«كان للفرس في الدولة العباسية نفوذ كبير، ومقام خطير، إذ كان لهم الفضل الأكبر واليد الطولي في قيام ملك بني العباس، فالثورة علي الأمويين قامت في بلادهم، وكانوا ضمن جندها المحاربين في سبيلها، وكان منهم القواد الكبار الذين حطموا عرش بني أمية كأبي مسلم الخراساني وأبي سلمة الخلال□(غفراني الخراساني، 1383ق، ص19).

وهكذا سقطت الدولة الأموية، واستقر الأمر للعباسيين و«اصطبغت الدولة العباسية بالصبغ الفارسية بنقلهم نظام الفرس الساساني في الدواوين وفنون الحرب، واحتفالهم بالأعياد الفارسية، إلي جانب الأعياد الإسلامية المعروفة كعيد النيروز، والمهرجان وسواهما من الأعياد الإيرانية القديمة، وانتشار الثقافة الفرس وعلومهم وآدابهم وتقاليدهم، وكثر الفرس كذلك في قصور الخلفاء والأمراء والولاة، وقصرت عليهم المناصب الكبيرة كالوزارة»(غفراني الخراساني، 1383ق، ص28).

فألقي العباسيون قيادة دولتهم إلي الفرس، حتي أصبحت الدولة العباسية، فارسية في كل شيء، وأصبح الفرس والخراسانيون خاصة يدعون أبناء الدولة (فروخ، 1968م، ج2، ص39). وكان نظام الحكم في الخلافة العباسية مماثلاً لما كانت عليه الإمبراطورية الساسانية، واتخذ الحكم العباسي الوزارة من الحكومة الساسانية التي كانت فيها وزراء للملك مثل بزرجمهر وزير أنوشروان، فكلمة الوزير التي كانت في العربية بمعني المساعد، استعملت منذ العصر العباسي بمعني المستشار الأول للخليفة،

وأقبل الخلفاء علي اتخاذ البطانة والوزراء من الفرس، الذين كانت لهم اليد الطولي في بث العلوم واتخاذ المترجمين ونقل الكتب عن الفارسية والهندية واليونانية. فأول وزير عباسي كان أبا سلمة الخلال وهو من الفرس، وأبو أيوب المورياني وزير المنصور فارسي من "موريان" قرية من قري الأهواز، ويعقوب بن داود وزير المهدي مولّي كذلك، وكذلك كان يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد، واستوزر المأمون بني سهل وكانوا من أولاد ملوك الفرس (أمين، 1934م، ج1، ص166). وأول وزير في دولة بني العباس، وهو أبو سلمة الهمداني الذي كان يدعي وزير آل محمد، فقتله أبو العباس السفاح بتهمة حب بني فاطمة (ابن عبدربه، 1987م، ج5، ص224).

ومن الأسر الإيرانية التي لعبت دورا مهما في المسارات المختلفة وقدمت خدمات جليلة للعلم والأدب، أسرة موسى بن شاكر، وآل المهلب، وآل نوبخت، وآل ميكال، وآل برمك الذين يقول فيهم ابن الطقطقي: «فكان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة، والبحور زاخرة، والسيول دافقة، والغيوث ماطرة. أسواق الأدب عندهم نافقة، ومراتب ذوي الحرمان عندهم عالية، والدنيا في أيامهم عامرة، وأبهة المملكة ظاهرة، وهم ملجأ اللهيّف ومعتصم الطريد» (ابن الطقطقي، د.ت، ص161). وبما أنهم قدموا جهودا جبارة لنقل تراث الحضارات العريقة كالفارسية وغيرها إلي العربية، فلهم «فضل عظيم في إذكاء الترجمة حينئذ، فقد شجعوا بكل ما استطاعوا علي نقل الذخائر النفيسة إلي العربية من الرومية واليونانية والفارسية والهندية ... وقد عنوا عناية واسعة بترجمة التراث الفارسي، ونري جيلا كبيرا ينهض في عصرهم والعصر الذي تلاهم بهذه الترجمة نذكر من بينهم آل نوبخت وعلي رأسهم الفضل بن نوبخت الذي أكثر من ترجمة الكتب الفلك، وآل سهل وعلي رأسهم الفضل وكان يترجم للمأمون في حدائنه بعض الكتب الفارسية» (ضيف، 1966، ص112). فأسرة البرامكة أول أسرة فارسية تولت الحكم في الدولة العباسية واحتفظوا أعواما طويلة بالوزارة، وفي أيامهم زاد نفوذ الفرس في الدولة العباسية وبلغوا أعلي المراتب والمناصب، وأول من وزر من هذه الأسرة، خالد بن برمك الذي كان يعمل عمل الوزارة في عهد السفاح والمنصور، ويأبي أن يسمى وزيرا لخوفه من بطش الخلفاء، علي الرغم من منزلته عندهم، وقد اشتهر خالد برجاحة العقل وبعد النظر. وبلغ نفوذ الوزير ذروتها في عهد الرشيد حيث نري أنه

«قلد يحيى بن خالد الوزارة وقال له قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك فاحكم في ذلك بما تري من الصواب واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وأمض الأمور علي ما تري ودفع إليه خاتمه» (الطبري، د.ت، ج ١٠، ص ٦٠٤-٦٠٣).

فإن الأدب العباسي قد تكون في بيئة مشبع جوها بالروح والتقاليد الفارسية، وبغداد التي أصبحت مركزا للدولة العباسية كما يقال كانت في الماضي قرية صغيرة من منتزهات المدائن عاصمة الدولة الساسانية، ويقوم بها سوق للفرس (المقدسي، 1989م، ص ٤٤). فنري تأثير الفرس في اختيارها كعاصمة للعباسيين من قبل المنصور، الذي وضع أساس النظام الذي سارت عليه الدولة العباسية في العصر العباسي الأول، وهو النظام الذي كان يحكم به آل ساسان بلاد الفرس من قبل؛ ويتحدث الدكتور الشعكة في هذا المجال قائلا: «ليس من شك في أن اختيار موقع بغداد عاصمة للعباسيين، إنما هو بتأثير الفرس علي الدولة فهي قرية من بابل والمدائن، بل إن باب خراسان في بغداد كان يسمى باب الدولة. حتي أعياد الفارسية أصبحت أعيادا رسمية، يهنأ فيها الخلفاء ويجلسون لسماع الشعراء وكان أشهر هذه الأعياد النيروز. ونتيجة لذلك حدث تزواج بين اللغة العربية واللغة الفارسية التي حملت ألفاظها كل أدوات الحضارة المحلية» (الشعكة، 1973م، ص ١٣٤).

فالقواسم المشتركة بين الأدبين العربي والفارسي إنما انبثقت من التمازج المشترك بين الشعبين منذ العصور العتيقة ثم ازدادت إحكاما وارتقاء بعد الإسلام، إذ دخل أبناء إيران فيه طوعا وإرادة ورغبة، وانصهروا في بوتقة تعاليمه ومبادئه وعملوا على نشرها. فأثرت الثقافة الفارسية في العربية أيا تأثير خاصة فيما قام بنقله أو تأليفه ابن المقفع، الذي «كان رأس الأدباء والمنشئين في العصر العباسي ... أوجد للعرب في كتابه "كليلة ودمنة" أسلوبا متعدد الجوانب يعالجون به موضوعاتهم وأغراضهم حكاية متصلة وتقريراً مبينا ومناقشة قائمة علي العلل والأدلة» (فروخ، ١٩٧٢م، ص ٢٤٩). فنري دور ابن المقفع الكبير في إنعاش حركة الترجمة وازدهارها، حيث ترجم كثيرا من الكتب الفارسية إلي العربية. وإنه كان «مالكا ناصيتي العربية والفارسية فأحب أن يري العرب آداب قومه، ويتقرب بها إلي ذوي السلطان، فأكب علي النقل، فأتحف العربية بطائفة من الكتب النفيسة» (البستاني، 1979م، ج ٢، ص ١٤٣). فيعد ابن المقفع رأس النقلة والمترجمين،

ومن بلغاء العربية المعروفين، بحيث «ما رزقت العربية كاتباً حبب الحكمة إلي النفوس كابن المقفع، فإنه يعتمد إلي الحكمة العالية، فلا يزال يروضها بعذوبة ألفاظه، ويستنزلها بسلامة تراكيبه، حتي يبرزها إلي الناس سهلة المأخذ، بادية الصفحة، فهو من هذه الناحية أكتب الحكماء، وأحكم الكتاب» (مردم، 1930م، ص ٦٣). فإن هذا النجم الإيراني الساطع لعب دوراً كبيراً في الأدب العربي وأحدث تطوراً جوهرياً في فن القصة علي لسان الحيوان، حيث اتسع نطاقها الفكري، واتخذت طابعاً فنياً جديداً في قلبها ومضمونها ومغزاها، حتي أصبحت أداة صالحة لمعالجة المسائل الاجتماعية والسياسية في المجتمع العربي الإسلامي (غفراني الخراساني، 1383، ص ٤٧١-٤٧٠). كما حظي بشهرة واسعة في علم المنطق دراسة وترجمة، وتحتل آثاره مكانة الصدارة في الأدب العربي من حيث الأسلوب وسهولة اللفظ وحسن البيان.

وهو «أول من اعتني في الملة الإسلامية بترجمة الكتب المنطقية لأبي جعفر المنصور، وهو فارسي النسب ألفاظه حكيمة ومقاصده من الخلل سليمة، ترجم كتب: "أرسطاطاليس" المنطقية الثلاثة وهي: كتاب "قاطيغورياس" وكتاب "باري أرمينياس" وكتاب "أنالوطيقا"، وذكر أنه ترجم إيساغوجي تأليف فرفوريوس الصوري وترجم ذلك بعبارة سهلة، وترجم مع ذلك الكتاب الهندي المعروف بكتاب كليله ودمنة وله تواليف حسنة منها رسالته في الأدب والسياسة ورسالته المعروفة بالتيمة في طاعة السلطان» (القفطي، د.ت، ص ٢٢٠). فهكذا كان هذا المفكر والأديب العبقرى ذا فضل عظيم على العربية، بما أدخل إليها الحكمة الفارسية والهندية والمنطق اليوناني وعلم الأخلاق والاجتماع، ورفع في كتبه النثر العربي إلى أعلى درجات الفن وخلف لنا آثاراً كثيرة في عمره القصير الذي لم يتجاوز السادسة والثلاثين قبل أن يقطع لحمه ويشوي في النار بإيعاز المنصور، فيلقي مصرعه في أبشع ميتة وذلك لمعارضته ورفضه فساد هذا الطاغية القاسي. وبالمناسبة نتطرق هنا بشكل مؤجّز إلي بعض تعامل المنصور والرشد التعسفي تجاه الأدباء والعلماء، وجرائمهما الشنيعة ضد الأبرياء والصلحاء، حيث بين لنا عدم مصداقية الخلفاء العباسيين عن كونهم مشجعي النهضة العلمية وما يثار حولهم في هذا المجال من الأباطيل.

فبما أن بني العباس كانوا خاملين الذكر ولم يكن لهم رصيد شعبي يذكر، ولم يكن من قادة الثورة التي سرقوها أي واحد منهم؛ فالذين زعزعوا السلطة الأموية بالثورات العارمة، وأضعفوها وشتتوا شملها وأنهكوا قواها وبالتالي أزالوها، هم العلويون ومحبوهم، فما كان أحد يظن أن الثورة تحمل في طياتها الدعوة لبني العباس. هذا، وأن أقطاب العباسيين كانوا قد بايعوا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الملقب بالنفس الزكية، بضع مرات؛ منها في مؤتمر الأبواء ٣، حيث عقد جماعة من بني هاشم مؤتمرا لهم في الأبواء بهدف تداول شؤون الدعوة، وقد حضره كل من إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (إبراهيم الإمام)، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن علي بن محمد بن عبد الله بن العباس، وأبو العباس السفاح، وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وابناه محمد وإبراهيم. ومحمد ابن عبد الله بن .. عثمان بن عفان -وكانت أمه من بني الحسن بن علي- ... فبايعوا جميعا محمدا ومسحوا علي يده (الإصفهاني، ١٩٩٨، ص ١٤١-١٤٠). فبعد ما ارتفع شأنهم على حساب العلويين، واستغلوا النقمة الشعبية على الأمويين وثورة محبي أهل البيت (عليه السلام) التي أطاحت بحكم بني أمية الجائر، وسرقوا مسار الثورة وقامت دولتهم علي أكتاف الفرس، فما أن استقر بهم الأمر وثبتت لهم أركان الخلافة، حتى اختاروا سياسة قمعية دموية تجاه معارضتهم وسودوا وجه التاريخ بجرائمهم ومنكراتهم اللاأخلاقية التي لاتعد ولا تحصى وأصبحوا أسوأ من أسلافهم الطالحين من الأمويين، فقاموا بمحاربة الشيعة وتشريدتهم وتقتيل كل من يشك في ولائه لهم. فبعدما قصم الله عمر السفاح الذي قتل الكثير من رجال دعوته وأعوانه ممن كان لهم فضل عليه، خلفه أخوه المنصور الذي أسرف في القتل والقسوة والإجرام؛ ومما يدل علي شدة بطش هذا الغادر قول صاحب ضحي الإسلام، حيث يقول: «كان المنصور ضيق الصدر ... يأخذ بالظنة في كل ما يتعلق بالملك، ويحاسب أشد المحاسبة حتي ما توهمه في النية والضمير، ويجزي علي ذلك بالقتل السريع، لا يرحم خارجا عليه، بل ولا من توسم فيه خروجا، ولا من حاول أن ينتزع منه سلطة، ولو كان هو مانحها ...» (أمين، ١٩٣٥م، ج ٢، ص ٤٧). وكان للعلويين والعلماء الكبار حصة الأسد من جرائمه المرعبة، وبالرغم من ذلك يجده البعض ويتحدثون عن منزلته ومكانته! اللهم إلا أن هذا الرجل قد ثبت أركان حكومته وأقام لها أسسا قوية عبر

استبداده وشدة بطشه بمعارضيه وناقديه، وقد اشتهر عن هذا الجبار أعمال شنيعة منها: فتكه بالحسنين ممن عارضه ومن لم يعارضه، فكل من خالفه، أو شك فيه، قتله شر قتلة. فجمع هذا الطاغية ذرية الإمام الحسن (عليه السلام)، وأمر بجعل القيود والسلاسل في أرجلهم وأعناقهم، وحملهم في محامل مكشوفة وبغير وطاء تماما كما فعل يزيد بن معاوية بعيال الحسين. ثم أودعهم مكانا تحت الأرض لا يعرفون فيه الليل من النهار، وكانوا يقضون الحاجة الضرورية في مواضعهم، فاشتدت عليهم الرائحة، وتورمت أجسادهم، ولا يزال الورم يصعد من القدم حتى يبلغ الفؤاد فيموت صاحبه مرضا وعطشا وجوعا (المسعودي، 1363ش، ج ٣، ص ٣١٠). فحصلت إبادة جماعية لأبناء الإمام الحسن (عليه السلام) في السجون الطاغية الرهيبة ولقوا ربهم -إلا هروب أحدهم إلى المغرب الأقصى حيث أنشأ هناك دولة الأدارسة- وجريمتهم الوحيدة أنهم من قرابة النفس الزكية. وهذا هو ابن المقفع الذي عُرف بذكائه وكرمه وأخلاقه الحميدة والذي جمع بين الثقافة العربية والفارسية واليونانية والهندية، ونال من كل هذه الثقافات نصيبا وافرا من الفصاحة والبلاغة والأدب، والذي لولاه لما كانت اللغة العربية كما هي اليوم. فبعدهما وجد هذا الكاتب الحر والملتزم الفساد يتغلغل في الدولة قام بتقديم كتاب "كليلة ودمنة" وهو دعوة صريحة للعلماء والمثقفين، ورجال الدين، لالتزام واجبهما الأدبي والقيام بدورهم في مواجهة السلطة والأنظمة الحاكمة المستبدة. وكتب رسالة أسماها "رسالة الصحابة" يعني بها صحابة الخليفة وبطانته، وقد وجه فيها نقدا بناء للطغمة الحاكمة. فلما بلغ المنصور ذلك، وتيقن من أنه دعوة سافرة لمعارضة حكمه كاد أن يحترق غضبا، فأمر سفيان بن معاوية والي البصرة أن يقتله بحجة الزندقة، فأخذ هذا الأخير ووثقه بالحبال وأحمى له تنورا وجعل يقطعه إربا إربا ويلقيه في ذلك التنور أمام عينيه حتى لفظ أنفاسه، وهو ينظر إلى أطرافه كيف تقطع ثم تحرق. وهذا هو أبو مسلم الخراساني الذي كان أحد المؤسسين الأساسيين لحكم العباسيين، فلما رأى الطاغية في بقاءه حيا خطرا على حكمه الجائر بسبب قوة شخصيته والتفاف عدد كبير من الفرس حوله، فقتله بعد أن ثبت لبني العباس دعائم دولتهم (ابن قتيبة، د.ت، ج ٢، ص ١٧٢-١٥٦).

ويكفي للإمام بقسوة المنصور وإرهابه وجرائمه ما يتحدث عنه ابن عبد ربه قائلا: «إن المنصور كان يجلس ويجلس إلى جانبه واعظا، ثم تأتي الجلاوزة في أيديهم السيوف

يضرّبون أعناق الناس، فإذا جرت الدماء حتى تصل إلى ثيابه، يلتفت إلى الواعظ ويقول: عظمي فإذا ذكره الواعظ بالله، أطرق المنصور كالمنكسر ثم يعود الجلاوزة إلى ضرب الأعناق، فإذا ما أصابت الدماء ثياب المنصور ثانية قال لواعظه: عظمي!!!□ (ابن عبد ربه، ج ١، ص ٤١). فأين هذا المجرم وحكمه من الإسلام والخلافة الإسلامية، وأين هؤلاء الذين يتحدثون عنه ويمجدون بأعماله، من جرائمه الرهيبة ضد البشرية من قطع الرؤوس وهدم البيوت على الأحياء وزج الأبرياء والصلحاء في السجون المخيفة التي تقشعر لها الأبدان. ولقد هلك المنصور السفاك ولم يترك أحداً بقي حيا من العلويين إلا وهو خائف مشرد من جور ظلمه، مثلما فعل نفس المعاملة بغيرهم من العلماء الكبار.

كما كان لهارون الرشيد وغيره من أخلافه أيضا سجل أسود في هذا المجال، ومع أنه كان كغيره من الخلفاء الطغاة منهمكا في الملذات والشهوات والجواري والتنكيل بمعارضيه من العلويين والعلماء، فقد شاع عنه أنه كان من أعظم ملوك العالم شأنا وأسماهم مكانة، وأشهرهم في تشجيع العلوم والآداب وإدارة شؤون الملك. نعم إنه كان محظوظا بأسرة كريمة تعمل ليلا ونهارا لبناء الدولة وإدارة شؤونها، وهي أسرة البرامكة -الذين يتحدث عنهم رفاعي قائلا: «صدق الفخري إذ يقول: إن دولة البرامكة كانت غرة في جبهة الدهر، وتاجا علي مفرق العصر، ضربت بمكارمها الأمثال، وشدت إليها الرحال، ونيطت بها الآمال، وبذلت لها الدنيا أفلاذ أكبادها، ومنحتها أوفر إيساعها...» (رفاعي، ١٩٢٨م، ج ١، ص ١٣٥). فإنهم أصيبوا بتلك النكبة المعروفة من قبل هذا الناصر بالجميل بسبب ما ظهر في بعض تصرفاتهم ومواقفهم من نزعة التشيع؛ حيث أمر بقتل جعفر وصلب أجزاء جسده وحبس أبيه وأخيه، وظلا في الحبس إلى أن ماتا في السجن (ضيف، ١٩٦٦م، ص ٣٢٩). كما لاقى العلويون ومحبوهم ما لا قوه من هذا الطاغية من السجن والتعذيب والقتل من غير جرم ارتكبه ٤، وهكذا كان دأب سائر السلاطين من بعد هذا الطاغية. فأين كان هؤلاء الطواغيت الظلمة مما يثير البعض حولهم من أدوارهم الهامة والبنائة في تشجيع العلوم والآداب وما إلى ذلك من الأساطير المفتعلة لتغطية جرائمهم المخيفة. ففي الوقت الذي كان أئمة أهل البيت (عليه السلام) يبينون بالبراهين الدامغة من القرآن الكريم والسنة النبوية على أحقيتهم بالخلافة من غيرهم وإنهم المنصوص عليهم بالإمامة بعد النبي (ﷺ)، كان العباسيون -الذين رفعوا شعار الأخذ

بثار الحسين والمظلومين من أهل البيت (عليه السلام) ليستغلوا سخط المضطهدين من الأمويين ويسرقوا مسار ثورتهم - يجابهونهم بالبطش والتنكيل والرد عليهم بسياسة الحديد والنار. فبما كان للفرس أدب يتناسب مع ضخامة ملكهم وعظم سلطانهم كما كانوا متقدمين في الطبيعيات والرياضيات والنجوم، فلما جاءت الدولة العباسية، وكثير من رعيته فرس، ولهم دوافع دينية ونزعة وطنية، أخذ المثقفون ينقلون إلي العربية تراث آبائهم، وما كان لهم من كتب في التنجيم والهندسة والجغرافية (أمين، ١٩٣٤م، ج١، ص١٧٥). وكان الاتصال القوي بين العرب والفرس من الوزراء وكبار الشخصيات وجيل النقلة والمترجمين، من أهم أسباب تنشيط حركة الترجمة وازدهارها في العصر العباسي، بحيث يعتبر هذا العصر من أزهي عصور الحضارة العربية. ولم يمض وقت طويل حتي ظهر في عصرنا هذا أصحاب اللسانين الذين يجيدون كلا من العربية والفارسية إجادة تامة كعبد الله بن المقفع وسهل بن هارون والفضل بن سهل وموسي بن سيار الأسواري، فحدث في المجتمع الإسلامي تطور فكري وثقافي منقطع النظير، و«هؤلاء الفرس الذين تعربوا، وهؤلاء العرب الذين أخذوا بحظ من الثقافة الفارسية؛ ملئوا الدنيا في هذا العصر العباسي علما وحكمة وشعرا وثرا، فيها العنصر الفارسي واضح جلي». ومن حظ العربية وقت ذاك أنها سادت اللغة الفارسية وغلبتها علي أمرها، فكان نتاج العقول الفارسية الراجحة؛ إنما هو باللغة العربية لا الفارسية، ف شعر شاعر منهم عربي كبشار، وأدب الأديب منهم عربي كابن المقفع، وتأليف المؤلف منهم عربي كابن قتيبة والطبري الخ (أمين، 1934م، ج١، ص١٨١). فكانت أكثر المعربات مأخوذة من الفارسية كما أخذ المترجمون كثيرا من المعارف الإنسانية عن الثقافة الفارسية، وأخذت الدولة العربية عن فارس قوانين الملك والمملكة (كردعلي، 1937م، ج١، ص٢٠).

ومن أشهر المدارس التي كانت ذات الأثر البعيد في الحضارة الإسلامية ولعبت دورا كبيرا في تطور حركة الترجمة وازدهارها، هي مدرسة جنديسابور التي كان قد أسسها كسري أنوشيروان في جنديسابور من أعمال خوزستان، حيث ظهر من هذه المدرسة أعظم النقلة ورعاة حركة الترجمة، كما كان أشهر أطباء الدولة العباسية من نتاج هذه المدرسة، التي كانت بوتقة انصهرت فيها الأفكار الفارسية واليونانية والهندية؛ و«قد

كانت تدرس في مدرسة جنديسابور الثقافة الهندية، بجانب الثقافة اليونانية، وكان يشترك بعض الهنود في التدريس باللغة الفهلوية. وظلت مدرسة جنديسابور تؤدي عملها في الإسلام، كما كانت في عهد الفرس، وازداد اتصالها بالمسلمين في العهد العباسي□(أمين، 1934م، ج ١، ص ٢٥٦). فبفضل نقلتها المهرة استطاع العرب أن ينقلوا إلي العربية الكثير من تراث الثقافات القديمة، بحيث نري من الباحثين من يري أنها كانت السبيل الوحيد لانتقال الثقافة الإغريقية إلي العرب، حيث يقال: إن هذه الثقافة لم تنتقل إلا عن طريق مدرسة جنديسابور، فقد كان كسري الأول (578-531م) رغم حربه للروم معجبا بالثقافة الإغريقية الرومية، فأكرم الفلاسفة الذين طردوا علي إثر إغلاق مدرسة أثينا أيام جستنيان (فتحي، 1973م، ج ٣، ص ٢٦٤).

وإن دار الحكمة التي قد احتضن علوم ومعارف الفرس واليونانيين وغيرهم، وكان من أكبر خزائن الكتب وأهم مراكز نشر الثقافة، فكان قد أنشأها الساسانيون الإيرانيون في إيران علي عنوان مكتبة بيت الحكمة أو المكتبة السلطانية، وورثها المنصور من الساسانيين ووسّعها المأمون وبسطها وأضاف إليها أعمالا وتكاليف عديدة، ويخطيء بعض المؤرخين في نسبة بيت الحكمة إلي المأمون، والحق أن الإيرانيين الساسانيين هم الذين أبدعوها (جوتاس، المترجم بالفارسية، حنايي كاشاني، 1381ش، ٦٨؛ صفا، ١٣٦٢ش، ج ١، ص ٤٩-٤٨). وامتد نشاط بيت الحكمة علي مدار قرنين من الزمان في العصر العباسي، وباجتياح العالم الإسلامي واحتلال بغداد من قبل المغول وصل بيت الحكمة آخر أيام حياته وأصيب بالخراب والدمار، وضاعت آلاف من الكتب العربية والفارسية التي بذل العلماء قصاري جهدهم من أجلها وأعطوها حماة حركة الترجمة والنهضة العلمية حصّة الأسد من الاهتمام وبذل الأموال الطائلة، وراحت أدراج الرياح تحت أقدام الغزاة أعداء الإنسانية والإسلام.

أما حول الحياة الاجتماعية وتأثرها من الترجمات ومن تدفق الفرس إلي الأمصار العربية، فلما هاجر الإيرانيون إلي هذه البلاد انتقل معهم كثير من آدابهم الاجتماعية في المأكّل والمشرب والملبس، و«قد شاع في بغداد لبس الأزياء الفارسية، وجعل المنصور أغطية الرأس القلائس وهي أغطية طويلة وسوداء مخروطة الشكل، وكان يلبسها في الاحتفالات الرسمية مع جبة مطرزة بالخيوط الذهبية، وعليها نقوش، وإذا أراد أحد من

أفراد حاشيته أن يلبس هذا الزي الفارسي لا يصرح له إلا بعد إصدار مرسوم من الخليفة بذلك» (برون، د.ت، ج ١، ص ٣٧٥). فدخل الآداب العربية كثير من آداب الفرس الساسانيين، وقلدهم العباسيون في آدابهم تلك، كما كان لهم أثر كبير في الأخلاق الإسلامية والآداب من ناحية حكمهم، فعلي سبيل المثال يقول بزرجمهر: «إذا اشتبه عليك أمران، فلم تدر في أيهما الصواب فانظر أقربهما إلي هواك فاجتنبه» (أمين، 1975م، ص ١١٩).

فكما أثر الأدب الفارسي في الأدب العربي، كذلك تأثر الفرس من اللغة العربية والثقافة الإسلامية تأثراً كبيراً، حيث اعتنقوا الدين الإسلامي وتكلموا باللغة العربية التي أصبحت لغة رسمية في إيران، كما تركوا الكتابة بالخط البهلوي واستعملوا الخط العربي، وأبرز مظاهر هذا التأثير فيما يلي:

- ١- التحول من الدين الزردشتي إلي الدين الإسلامي.
- ٢- تسلل الكلمات العربية في اللغة الفارسية، وهجران اللغة البهلوية بالتدريج .
- ٣- ترك الكتابة بالخط البهلوي تدريجاً والتحول إلي الكتابة بالخط العربي.
- ٤- ميل الشعراء إلي اتباع العروض والبديع، واقتباس مضامين الشعر الجاهلي العربي ووصف الخمر والغلمان.

٥- محو علوم الإيرانيين وآدابهم بأيدي الحكام والأمراء العرب بحجة الكفر والزندقة (همائي، 1340ش، ج ٢، ص ٢٧٣-٢٧١ بتخلص).

فامتزجت العربية والفارسية في إيران خلال هذا العصر، وترك الإيرانيون أعظم تراث فارسي إسلامي، حيث نري اهتمامهم في كافة الحقول العلمية كالمباحث اللغوية والنحوية والبلاغية والتفسيرية، وكذلك في حقل الحديث؛ فقد جاب الطلبة الإيرانيون الأقطار شرقاً وغرباً في طلب الحديث وتدوينه، وجدير بالذكر أن كل أمهات الكتب الحديثية السنية منها والشيعة كانت من تأليف الإيرانيين كما قام العلماء الإيرانيون بجمع الأمثال ووضعوا معاجم لها. فإننا «لأنكاد نتقدم في العصر العباسي حتي يصبح جمهور العلماء والكتاب والشعراء منهم، فهم يقبلون علي درس الشريعة الإسلامية ويتألق فيها نجم أبي حنيفة وتلاميذه، وهم يقبلون علي جمع العربية وتدوين أصولها النحوية علي نحو ما هو معروف عن سيبويه، وهم يقبلون علي إحسان صناعة الكتابة علي نحو ما هو

معروف عن ابن المقفع، وهم يقبلون علي الشعر بحيث يصبح أعلامه النابھون منهم علي نحو ما هو معروف عن بشار وأبي نواس» (ضيف، 1966م، ص ٩١).

فبما أن الفرس كانوا أصحاب الثقافة والحضارة، وكانت بينهم وبين العرب علاقات وطيدة مباشرة، فأفادت العربية أيما إفادة من منتجات الفرس ومآثرهم العلمية والأدبية خاصة في العصر العباسي، حيث نري ازدياد نفوذ الفرس في المجتمع العربي بعد قيام الدولة العباسية، فركن بنو العباس إلي الفرس وألقوا إليهم قيادة إمبراطوريتهم الفتية. ونتيجة للامتزاج الذي حصل في كل مجالات الحياة بين الأمتين العربية والفارسية، وكذلك اختلاطهم بسائر الأمم المتحضرة، وبفضل حركة الترجمة والجهود المتواصلة لأبناء الأمة الإسلامية، فقد حدثت في البلاد الإسلامية نهضة علمية عظيمة، وقام المسلمون بقفزة نوعية جبارة في بناء صرح الحضارة الإسلامية التي أخرجت العالم من سردابه المظلم إلي عالم جديد، وبعد حين من الزمن انتقلت حصيلة هذه الجهود الجبارة من العلوم والمعارف إلي أوربة -التي كانت تتخبط في الأمية والظلام وكان أهلها الغربيون متوحشين جاهلين، لا يعرفون عيش الرفاهية، وإلي القرن الماضي لم يعرف ملوكهم فضلا عن سوقتهم المراحض ولا الحمامات (كردعلي، 1950م، ج١، ص ١٩٥)- فبفضلها بدأت النهضة الأروبية حوالي سنة 803ق وقامت بتشيد حضارتها. فتعتبر بداية العصر العباسي من أزهي العصور العربية وأكثرها ازدهارا، أما إثر توغل الأتراك في الأمور أخذ الضعف يدب في الإمبراطورية العباسية، والمعتمصم أول خليفة اعتمد علي الأتراك وأسند إليهم مناصب الدولة، وأدخلهم في لعبة القيادة، وكان نفوذهم يزداد يوما بعد يوم، إلي أن سيطروا علي الدولة من جميع جوانبها، بحيث لم يكن للخليفة المنصوب علي عرش بغداد بعد المتوكل شيء من الأمر (فروخ، 1968م، ج٢، ص ٣٣).

فاستفحل خطر هؤلاء الأتراك الذين كانوا «عجما جفاة، يركبون الدواب فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها فيصدمون الرجل والمرأة، ويطأون الصبي فيأخذهم الأبناء، فينكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم، فربما هلك من الجراح بعضهم» (الطبري، د.ت: ج ١١ / ١١٨١-١١٨٠). فبعدها استبد الأتراك بأمور الخلافة وجيشها، «جعلوا المملكة ألعوبة في أيديهم. فكان عصرهم معقلا للذعر والإرهاب

والإضطهاد، وموطنا للتمثيل والتقتيل والاغتيال وملعبا للدسائس والرشي والاختلاسات ... ولم يكونوا أهل حضارة وعرفان، فيجعلوا فيها أثرا بينا كما جعل الفرس من قبلهم) «البستاني، 1979م، ج ٢، ص ٢١١-٢١٠).

فبسيطرة الأتراك علي مقاليد الأمور أصبحت الدولة العباسية ميدانا للفوضى، بحيث نراهم يسملون عيون الخلفاء ويقتلونهم؛ فإن المقتدر خلع وأعيد إلي الخلافة بضع مرات، وعبدالله بن المعتز ببيع في أيام المقتدر يوما واحدا (سنة 296هـ) ثم خلع وقتل. ثم قتل المقتدر وقطع رأسه. وكذلك سُمِلت عينا المتقي وقتل (سنة 333هـ) ثم سملت عينا المستكفي أيضا واعتقل فمات في معتقله مقتولا (سنة 334هـ)، كما قتل نفر من الخلفاء بعد ذلك (فروخ، 1968م، ج ٢، ص ٣٩٩-٣٩٨). وهكذا مهد الأتراك لسقوط الدولة العباسية؛ حتي ظهر نجم نحسهم من المشرق -كما كان قد أشرق كوكب سعدهم من المشرق أيضا قبل بضعمائة سنة، وجاءت الرايات السود من هذه الناحية وأقعدتهم علي عرش بني أمية -فجاءت رايات التتار وأطاحت بخلافتهم سنة 656ق. وباجتياح العالم الإسلامي واحتلال بغداد من قبل المغول، الذين كان الموت والدمار والحزب يحل بكل مكان تطؤه أقدامهم، فهؤلاء الغزاة قاموا بإحراق أكداس هائلة من الكتب النفيسة ورموا بمئات الآلاف من الكتب في نهر دجلة. وفقدت بغداد معظم سكانها في هذه الكارثة بحيث يقال إن ضحايا هذا الهجوم قد بلغت زهاء مليون وثمانمائة ألف (ابن كثير، 1966م، ج ١٣، ص ٢٠٢).

النتيجة

يستنتج مما تقدّم أن الصلات المتوغلّة في القدم بين الفرس والعرب، أخذت تتسع إلي آفاق جديدة عندما استولي كورش سنة 539ق.م علي ممالك الشرق الأوسط، وزمن سابور الأول قام الفرس بتأسيس إمارة الحيرة العربية علي الحدود العربية الفارسية، كما كانت هناك صلات وثيقة بين الفرس والعرب في البحرين وعمان واليمن. وبعدها اعتنق الفرس الدين الإسلامي الجديد، أخذت علاقات الفرس والعرب طابعا جديدا واستعان العرب منهم في إدارة شؤون الخراج. ولما استفحلت النقمة الشعبية علي الأمويين، قامت الثورة عليهم في بلاد الفرس بقيادة قواد كبار كأبي مسلم الخراساني وأبي سلمة الخلال وأطاحت بحكمهم الجائر، وارتفع شأن بني العباس علي حساب

العلويين ومحبهم الثوار، فاستغلوا النعمة الشعبية على الأمويين وسرقوا مسار الثورة، وقامت دولتهم علي أكتاف الفرس وقصر المناصب الكبيرة عليهم حتي أصبحت الدولة العباسية فارسية في كل شيء. ثم إن ثورة المضطهدين التي أطاحت بالحكم الأموي، أنشأت العصر العباسي وأثرت بدورها في تنمية أجواء الحياة العقلية والعلمية والأدبية - التي أنشأها الإمام الصادق (عليه السلام) بتأسيسه مدرسته الكبرى التي خرجت الآلاف من الطلاب والعلماء، وذلك في أواخر الحكم الأموي وإبان الحكم العباسي، حيث كان فترة ضعف للحكمين الغاصبين- ثم بانتقال مركز الخلافة إلي بغداد والامتزاج الذي حصل في كل مجالات الحياة بين الفرس والعرب، فنشطت حركة الترجمة التي كانت وليدة حركة الساسانيين العلمية، وانتشرت ثقافة الفرس وعلومهم وآدابهم وتقاليدهم. ومن أشهر المدارس التي كانت ذات الأثر البعيد في تطور حركة الترجمة وازدهار الحضارة الإسلامية، هي مدرسة جنديسابور التي كان قد أسسها كسري أنوشيروان كما أن دار الحكمة التي كانت من أكبر خزائن الكتب وأهم مراكز نشر الثقافة فكان الفرس قد أنشأها في العصر الساساني علي عنوان مكتبة بيت الحكمة أو المكتبة السلطانية. أخيرا ومما مضي يمكن القول بأن النهضة العلمية والأدبية العباسية وخاصة حركة الترجمة هي وليدة الحركة العلمية والأدبية الساسانية، وأن الخلفاء العباسيين، الذين يأخذون بالظنة؛ فيقتلون بغير الحق ويقطعون الأيدي والأرجل ويهدمون البيوت علي أصحابها، وإن كان لهم نصيب في النهضة العلمية والأدبية العباسية وذلك باتخاذهم الوزراء ورجال الدولة من الفرس المثقفين الذين كانت لهم اليد البيضاء في بث العلوم واتخاذ المترجمين ونقل الكتب عن الفارسية والهندية واليونانية إلي العربية؛ إلا أنهم لم يكونوا -كما يبدو- من محبي العلم والأدب حقا، وما قاموا به من تشجيع بعض العلماء وإعطاءهم حرية التعبير والمناظرة، كان محصورا في بعض الفرق كالزندقة والملحدة والقائلة بالغلو والتجسيم والاتجاهات العنصرية وغيرها، وذلك خوفا من انتشار العقائد الإسلامية الحقة المهددة لحكمهم الغاصب، وهذا مما يدرك من جرائمهم النكراء في سجنهم وتعذيبهم وقتلهم للعلماء الصالحين والأدباء الملتزمين.

هوامش البحث

- ١- هو شاعر حجازي من شعراء الدولة الأموية.
- ٢- وبهذا الخصوص يقول عمر فروخ: «كان المقصود من الدعوة إلي آل محمد أن يتولي العلويون الخلافة. ولكن العباسيين استطاعوا أن يستبدوا بالأمر وأن يياعوا واحد منهم هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المشهور بأبي العباس السفاح» (فروخ، ١٩٦٨م، ج ٢، ص ٣٥).
- ٣- "الأبواء": قرية قرب المدينة المنورة فيها قبر السيدة آمنة أم رسول الله (ﷺ)، ومولد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام).
- ٤- لتفاصيل الجرائم التي ارتكبتها الطغاة العباسيين انظر: "مروج الذهب" للمسعودي، و"الكامل" لابن الأثير، و"مقاتل الطالبين" لأبي الفرج الإصفهاني، وما إلي ذلك من الكتب التاريخية.
- ٥- من ذلك يذكر ابن خلدون في ص ٤٣-٤٢ من مقدمته، أن عمر أمر بمحو كثير من علوم الفرس عند الفتح، فكانت العرب في صدر الإسلام لاتعتني بشيء من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها وبصناعة الطب، وروي أنهم أحرقوا ما وجدوا من الكتب. وكان الأمر هكذا إلي زمن العباسيين.
- ٦- الأبناء: هم بقية باقية من الفرس الذين أرسلهم كسري مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجد علي الحبشة، فنصروه وملكوا اليمن، وتدبروها وتزوجوا في العرب، فقبل لأولادهم الأبناء، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم. (لسان العرب لابن المنصور، دار صادر، بيروت، مادة "ابن").

قائمة المصادر والمراجع

-العربية:

نبدأ بالقرآن الكريم تبركا فهو خير ما يبدأ به.

- ابن خلدون،(د.ت). مقدمة ابن خلدون، بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- ابن الطقطقي(د.ت). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مصر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده.
- ابن عبد ربه(1987م). عقد الفريد، بتحقيق د.مفيد محمد قميحة، ج2، بيروت.
- ابن عبد ربه(1987م). عقد الفريد، بتحقيق د.عبد المجيد الترحيني، ج5، بيروت.
- ابن قتيبة الدينوري(د.ت). الإمامة والسياسة، تحقيق الشيري، ج ٢.
- ابن كثير(1966م). البداية والنهاية، ج١٣، ط١.
- ابن المنظور(د.ت). لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- أبو الفرج الأصفهاني(1986م). الأغاني، ج2، ط١، دار الفكر.
- أمين، أحمد(١٩٣٥م). ضحي الإسلام، ج٢، ط2.
- برون، إدوارد(د.ت). تاريخ الأدب الإيراني، ترجمة علي باشا صالح، ج1، طبعة طهران.
- البستاني، بطرس(1979م). أدباء العرب في الأعصر العباسية، ج2.
- رفاعي، أحمد فريد(1928م). عصر المأمون، ج1، ط4، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- شريف القرشي، باقر(١٣٩٩ق). النظام التربوي في الإسلام، بيروت: دار التعارف للمطبوعات.
- الشعكة، مصطفى(1973م). معالم الحضارة الإسلامية، ط1، بيروت: دار العلم للملايين.
- شيخو، لويس(د.ت). المجاني في الأدب، ج١، بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
- ضيف، شوقي(1966م). العصر العباسي الأول، ط٩، مصر: دار المعارف.
- الطباطبائي، محمد حسين(1394ق). الميزان في تفسير القرآن، ج3، ط3، طهران: دار الكتب الإسلامية.
- الطبري، محمد(د.ت). تاريخ الرسل والملوك، ج10 و11، طهران: منشورات جهان، بوذرجمهري.
- جواد علي(1968م). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١ و2، ط1، بيروت: دار العلم للملايين.

- العاكوب، عيسي(1989م). تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول.
-العماري التميمي، عبد الواحد(١٤١٠ق). غرر الحكم ودرر الكلم، تصحيح السيد مهدي رجائي،
قم: دار الكتاب الاسلامي.
-الغزالي(1302ق). إحياء العلوم، المطبعة الأزهرية.
-غفراني الخراساني، محمد(1383ق). عبد الله بن المقفع، دار القومية للطباعة والنشر.
-فتحي، عثمان(1973م). الحدود الإسلامية البيزنطية، ج3، القاهرة.
-فروخ، عمر(1972م). تاريخ الفكر العربي، بيروت: دار العلم للملايين.
-فروخ، عمر(1968م). الأعصر العباسية، ج2، ط1، بيروت: دار العلم للملايين.
-القفطي(د.ت). تاريخ الحكماء وأخبار العلماء (وهو مختصر الزوزني)، بغداد: مكتبة المثنى.
-کرد علي، محمد(1950م). الإسلام والحضارة العربية، ج1، القاهرة .
-کرد علي، محمد(1937م). أمراء البيان، ج1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
-الكليني(1388ق). الكافي، ج1، طهران.
-محمدي، محمد(1374ش). الترجمة والنقل عن الفارسية، ج1، ط2، طهران: منشورات توس.
-مردم، خليل(1930م). ابن المقفع، طبعة دمشق.
-المسعودي، علي بن الحسين(1363ش). مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ط2، دققها أ.
يوسف أسعد داغر، قم: منشورات دارالهجرة.
-المقدسي، أنيس(1989م). أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط17، دار العلم للملايين.
-الفارسية:
-آذرنوش، آذرتاش(1354ش). راهبهاي نفوذ فارسي در فرهنگ و زبان عرب جاهلي، تهران.
-إمام شوشتری، محمد علي(1347ش). فرهنگ واژه هاي فارسي در زبان عربي، تهران .
-جوتاس، ديمتري(1381ش). الفكر اليوناني، ترجمه بالفارسية حنايي كاشاني، طهران.
-محمدي، محمد(1380ق). تاريخ و فرهنگ ايران، ج4، طهران: منشورات توس.

تطور العلاقات بين الفرس والعرب في ضوء حركة الترجمة..... (388)

-همائي، جلال الدين(1340ش). تاريخ أدبيات إيران، ج2، ط2، طهران: منشورات مكتبة فروغي.